Philosophy of Love in Hanna Mina's Novel (The Man Who Hates Himself)

Dr. Laila Al-Maghraby*

(Received 8 / 11 / 2024. Accepted 16 / 1 / 2025)

□ ABSTRACT □

The research presents a vision of Hanna Mina's philosophy of love through his novel (The Man Who Hates Himself)
attempting to extract its foundations embodied in the novel's characters, situations, and events, that philosophy that changes according to Hanna Mina's age stages; as we find in this novel a different understanding of love, embodying the relativity of statements, not only at the level of humans, but also at the level of the person himself, according to his age, position, circumstances, culture, and other factors. The philosophy of love in (The Tale of a Sailor) published in 1980 differs from his philosophy in the novel (The Man Who Hates Himself) published in 2003; knowing that the latter is a continuation of the events of the first novel, but from the , perspective of a seventy-year-old man, refined by experiences and reduced several evaluations, and settled on the fact that love is based on rules that he believes in and defends.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Assistant Professor, Arabic Language Department, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

فلسفة الحب لدى "حنّا مينة" في رواية (الرجل الذي يكره نفسه)

د. ليلى المغرقوني*

(تاريخ الإيداع 8 / 11 / 2024. قبل للنشر في 16 / 1 / 2025)

□ ملخّص □

يقدم البحث تصوّرا لفلسفة " حنا مينة" في الحب عبر روايته(الرجل الذي يكره نفسه)، محاولا استخلاص أسسها المتجسّدة في شخصيات الرواية، ومواقفها، وأحداثها، تلك الفلسفة المتغيرة حسب المراحل العمرية ل" حنا مينة"؛ إذ نجد في هذه الرواية فهما مغايرا للحب، يجسّد نسبية المقولات، لا على مستوى البشر وحسب، بل على مستوى الشخص نفسه، تبعا لسنّه وموقعه و ظروفه وثقافته، وغيرها من عوامل، ففلسفة الحب في (حكاية بحار) الصادرة عام ١٩٨٠ تختلف عن فلسفته في رواية(الرجل الذي يكره نفسه) الصادرة عام ٢٠٠٣؛ علماً بأن هذه الأخيرة استكمال لأحداث الرواية الأولى، لكن بمنظور رجل سبعيني، صقلته التجارب، وتخفف من تقييمات عدة، واستقر إلى أن الحب يتأسس على قواعد يؤمن بها، ويدافع عنها.

* **مدرس ، قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية .**

مقدّمة:

إن القراءة العميقة لروايات" حنا مينة" تكشف عن تصوّر فلسفي خاص لمفهومات عدة تتعلق بعلاقة الإنسان بالوجود والوطن والإله وغيره من البشر، وقد حرّر نفسه من سلطان الفلسفات السائدة التي أملاها أصحاب النظريات الفلسفية، فنراه يقدم فهما مغايرا للحياة، والطريقة التي بجب أن تُعَاش بها، واضعا في رواياته أفكاره الفلسفية التي تبرر سلوك الشخصيات لديه.

يقدم" حنا مينة" في روايته(الرجل الذي يكره نفسه) تصوّرا خاصاً للحب والمقاومة والحياة والموت والخير والشر، وغيرها من القضايا الإنسانية. وسنقف على فلسفته في الحب نظرا لضيق المقام.

أهمية البحث وأهدافه

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من عنايته بقضية إنسانية معيشة هي الحب، وتبريره فلسفيا، بعد أن كان بعيداً عن ميدان الفلسفة لوقت طويل؛ بوصفه غير خاضع للعقلنة، إضافة إلى أن فلسفة الحب عند "حنا ميتة" لن يتم التطرق إليها في الدراسات التي قاربت أعماله الأدبية.

منهج البحث:

انطلاقا من القول بأن البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين، أو على الأقل أن يحتويه منهج بعينه، كان الاعتماد في هذا البحث على منهج تكاملي يفيد من المناهج والدراسات جميعاً، على وفق ما تقتضي الحاجة، ويتطلب البحث من الانتقال بين العمل الأدبي، والطبيعة البشرية، والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية، فالمنهج التكاملي يعني ألا يكتفي الباحث (بمنهج واحد للدراسة ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل، لا لابد أن يستعين بها جميعاً حتى يمكن أن يضطلع ببحث أدبي قيّم). "١"

الدراسات السابقة:

حظي نتاج "حنا مينة" الأدبي بعناية النقاد، لكن تلك العناية ظلت رهينة جوانب محددة، لم تخرج عنها، ومن الدراسات التي عنيت بأدبه دراسة الدكتور "علي إبراهيم" المعونة بجماليات الرواية (دراسة في الرواية الواقعية السورية المعاصرة) الصادرة عن دار الينابيع، سنة ١٩٩٤، التي ركزت على دراسة روايتين فقط (الياطر، والشراع والعاصفة) فقد تقصّى الباحث فيهما ملامح البطولي والسامي في شخصيات الروايتين.

ومن الدراسات السابقة أيضاً دراسة "عبد الرزاق عيد" و" محمد كامل الخطيب" المعنونة بعالم حنا مينة الروائي، الصادرة عن دار الآداب في بيروت، سنة ١٩٨٠، والتي ركزت على تحليل العالم الداخلي للشخصيات وكيفية بنائها.

من هنا كان البحث يطمح إلى أ إلقاء الضوء على رواية لم تحظ بالاهتمام في الدرس النقدي، إضافة إلى أن فلسفة الحب خاصة لم تكن موضوع اهتمام الدراسات الأدبية.

ملخص الرواية:

ترصد الرواية قصة الكاتب "دعبس الفتفوت" الذي تقدم في السن، وفارق الكتابة وكره القراءة، وجلس يحاكم نوازع الخير والشر في نفسه عبر رموز يخاطبها، تجسّدت في الوطواط والبومة؛ بوصفيهما الشر الكامن في نفسه، والعنقاء بوصفها

سريرته الطيبة، والأفعى دالّة على الحكمة، لائما نفسه على ما سلف من حياته الماضية، غير راضٍ عنها، متخذاً موقع الصامت بعد أن كان المتكلم الفاعل قبلاً، مقدّما التسويغ لأفعاله الشريرة والحميدة، ولا يحوز الكلام على

---

١. ضيف، شوقي: البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ص ١٤٤.١٤٥

نفسه إلا بعد أن ينعتق من شخصية "دعبس الفتفوت"، ويلبس شخصية "صالح الحزّوم" ريّس البحر الذي أنقذ السفن والمراكب في النهر من الإعصار، وكانت له مواقف مشهودة في البحر، وحمى حيّ الشرادق من هجمات الأتراك، ثم ناضل ضد الفرنسيين، وضحى في سبيل إطعام الجائعين في حيه عبر فكرة جهنمية دارت في خلده، هي الحصول على الكاز من سفينة فرنسية جانحة، والغوص إلى الأعماق؛ لاستخراج تنكات الكاز وبيعها وإطعام الجياع، ولكنه يقع في قبضة السلطات الفرنسية؛ نتيجة وشاية من أحد بحّارته، فيكون مآله السجن والتعذيب الشديد، في حين يُذاع بين الناس أنه غرق في البحر ، الأمر الذي دفع ابنه" سعيدا" إلى الغوص للبحث عن جثته في السفينة الجانحة، وبعد محاولات مضنية من البحث، يسحب الجثة خارج البحر، لكن المفاجأة تكون في أنها جثة ضابط فرنسي؛ لتبدو المحاولة نوعاً من العبثية عند مقاربة العمل الشاق وتفاصيله بنتيجته، لكن الجميل أن تلك النتيجة تنفتح على احتمال بقاء والده على قيد الحياة.

يستدعي الكاتب في روايته(الرجل الذي يكره نفسه) شخصيتي "صالح الحزّوم" و" كاترين الحلوة" بطلا رواية (حكاية بحار) ، التي تروي قصة حبهما، وتنتهي باختفاء "صالح الحزّوم" في البحر، ثم تكمل هذه الرواية قصة مصير "صالح" الذي ظل مغيبا في الرواية الأولى (حكاية بحار) الصادرة عام ١٩٨٠؛ لتكشف خفايا غياب بطلها في سجون الاحتلال الفرنسي، ومن ثم نفيه إلى إحدى الجزر، وعودته أخيراً إلى الوطن، بعد أن أصابه العجز والهرم، فيكون رجلاً يكره نفسه.

فلسفة الحب في الرواية:

على الرغم من أن الحب لم يمثّل موضوعاً عند الفلاسفة؛ لخروجه عن سيطرة العقلنة، فإن كان موضوعا مهما في الفن والأدب خاصة؛ لذلك عني الأدباء بتقديم فلسفة خاصة بكل منهم، عبّروا فيها عن قناعاتهم حياله، تلك القناعات التي لم تكن إلا تبريرا لسلوكهم.

في رواية (الرجل الذي يكره نفسه) يقدم "مينة" فلسفة رجل سبعيني، خبر الحب على مدى سنيّ حياته الفائتة، من غير أن يتكلم عليه بلسانه؛ لأنه يعيشه، فلا نراه يقدم تعريفاً له، أو يتكلم على آفاته وأسبابه، لكنه يجلّيه عبر علاقتين يعيشهما بطل الرواية "صالح الحزوم" ، أولاهما علاقته بزوجته "كريمة" أم أبنائه، وثانيتهما علاقته بكاترين الحلوة، المرأة الشابة الجميلة زوجة العجوز الفقير " حبابة".

نستطيع عبر الرواية تحديد أسس تقوم عليها فلسفة الحب لدى "مينة" من منظور الرجل، وهي:

أولا: العلاقة العكسية بين الحب والقوة:

يرى "مينة" أن المحبين يختلفون في درجات حبهم، ومن ثم في درجات التعلق بالطرف الآخر تبعاً لدرجة قوتهم، فكلما كان العاشق قوياً قلّ تعلقه بالطرف الآخر، وهو ما يمكن تطبيقه على علاقتيه في الرواية؛ مرة بزوجته، وأخرى بكاترين، فزوجة "صالح الحزّوم" " كريمة" تنتمي إلى النمط التقليدي للنساء في مرتبة القدّيسات، أولئك اللواتي يحُزْنَ الشرف والحنان والإخلاص اللامحدود وإنكار الذات؛ لذا تكون الأكثر تعلقا بزوجها؛ إذ تراه محاطاً بهالة من القوة والغموض

والذكاء والشجاعة؛ فهو الغامض مقابل وضوحها، والمغامر مقابل سكونيتها، والقوي مقابل ضعفها؛ لذلك لا تستوي درجة المحبة بينهما، بل تزداد عندها، وتقلّ عنده.

أما حبه "كاترين" فتتراوح درجته بين علو وانخفاض، بل إن كلاً منهما يمنح القوة إلى الآخر؛ ليدوم الحب؛ ف"كاترين" تحوز الشباب والجمال الساحر، وهما الأمران اللذان يفتقدهما "صالح" ، ويشعلان الحب باستمرار في قلبه، وتتبدى قوة "صالح" عندما يصدر ل"كاترين" أمرا بهجر الحي بعد خروجه من السجن، ومعرفته بخيانتها زوجَها وصالحاً مع الجنود الأتراك، فعلى الرغم من أن هجره لها قد أبكاها وعذّبها طويلاً بعد استجابتها لأمره بالنفي، فإنه لم يستطع نسيانها، أو التخلص من آلام حبها؛ بدليل أنه كان يلهج باسمها بعد عودته مريضاً في شبه غيبوبة من النفي؛ إذ يقول: (احذر الكرم في الحب، واحذر أكثر الوقوع في مرض الحب اللذيذ، وبسخاء؛ لأنك عندئذ تصبح أنت الأضعف، ويصبح الطرف الآخر هو الأقوى). "١" ف" مينة" يعد الحب مرضا يدفع ثمنه الأكثر حبا، لكن الانجذاب بين "كاترين" و"صالح" كان متوازيا؛ إذ ترى نفسها ضعيفة؛ لذلك هجرها "صالح"، لكن "صالحا" أيضا يبدو ضعيفا جراء هذا الحب، فعندما كانت أنشوطة الإعدام توضع على رقبته من قبل الجنود الفرنسيين، لم يتذكر سواها، وهو ما يبدو في قوله: (ذكرتك يا كاترين في ساعة موتي، ذكرتك أنت قبل أهلي، قبل زوجتي وأولادي ، حتى قبل رفاقي في الجهاد... أغمضت عيني، أغمضتها عليك يا كاترين)."٢"

يوحي المقتطف السابق بأنه لم يتخلص من عذاب فقدانها، لكنه كان يحاول ترويضه برزانة، وأنها استجابت لقراره بالنفي لشدة حبها له، الأمر الذي يسّوغ نفوذه عليها، أما إبعادها عنه فكان نتيجة اقتراف جرم مصالحة العدو التركي من قِبلِها، وهو عدوه، وسبب سجنه، وجوع أبناء حيه، وعبوديتهم، وهذا الموقف بجسد مقولة الفلاسفة في أن (الحب يجعلنا ضعفاء، والأضعف بين الاثنين يدمّره ويقتله الآخر)."٣"وبسبب تقارب مستوى القوة بينهما دفع كلاهما الثمن.

ثانيا: اكتمال الحب يقوم على المثلث العاطفي:

نقصد بالمثلث العاطفي وجود ثلاثة أطراف في العلاقة العاطفية، وهو ما يمثله "صالح الحزّوم" و"كاترين" و"كريمة" الزوجة، حتى إن "مينة" يؤسس لعلاقة التقارب الاختياري بين الزوجة والعشيقة، مستغلاً مدى حب زوجته له؛ لتوافق على تواطؤ عاطفي بينه وبين عشيقته، وهو ما يتجلى في حوار بين "صالح" و" كريمة" بعد عودته من المنفى، وكذبة موته التي نشرها أحد رجاله، وهو الذي وشى به للفرنسيين، فنرى "صالحاً" مريضاً في فراشه وحوله زوجته و"كاترين":

قلت ل "كريمة" مستغرباً: ألم تأخذك الغيرة من وجود "كاترين" قرب فراشي؟

أجابت من فورها: أبدا.

أضافت: لماذا تسأل سؤالاً غريباً كهذا؟

–لأن الغيرة هي التي تحرس الحب، فهل مات حبك لي، ولم يعد بحاجة إلى حراسة؟

–أبدا، حبك في قلبي كما كان منذ عرفتك.

ثم يقول في نفسه: ("كريمة" امرأة طيبة فلأتركها لطيبتها، و"كريمة" لا تغار، وهذا جيد، *وإذا كانت لا تحس بأن شيئا قد تغير فهذا يعني أنها أكثر هناءة مني، وقد فتحت بيتها وقلبها ل"كاترين"، فلماذا أزرع الشك في قلبها .)"٤"*

يبدو من المقتطف السابق أن لاحب حصريا في حياة " مينة"، فهو لا يريد الابتعاد عن زوجته " كريمة"، بل إنه يحرص على ديمومة علاقته بها، وكأنها نوع من الحب الضروري، لكنه لا يكفي لتمام البهجة، ودوام اللذة، وهما القيمتان اللتان

يحققهما حبه ل" كاترين"؛ إذ يعيش معها حس المغامرة على ما تعني له المغامرة؛ بوصفه بحارا، يعرف كيفية الاستمتاع باللحظة، ويسعى إلى البحث عن تجاربَ جديدةٍ ينغمس فيها.

يغالي "حنا مينة" حين يجعل زوجته "كريمة" مستعدة للقبول والترحيب بوجود شريك ثالث في العلاقة؛ لأن حبها لزوجها حررها من الأنانية، فيقول على لسان "كاترين": (كنت يا "صالح"

---

١. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه دار الآداب ،بيروت،ط ٢٠٠٣، ص ٢١٥.

٢. المرجع السابق نفسه، ص٢٦٥.

٣. لومونييه، ماري و لانسولان، أود: الفلاسفة والحب ، ترجمة دينا مندور، دار التنوير، الطبعة الأولى ،٢٠١٥، ص٢٣.

٤. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه، ص١٧٧-١٧٨.

تهذي تحت وطأة الحمى، وكنت تردد اسمي، وأنا أحمرّ خجلاً أمام زوجتك "كريمة"- لكنها- هي كانت كبيرة القلب، متفهمة للوضع، تهوّن عليّ بقولها: كلّ ما يساعد صالحاً على الشفاء أتقبّله بسرور، أنت يا"كاترين" مَنْ يساعد ويسرّع في شفائه. فلم أعد في نظر نفسي على الأقل "كاترين" الخاطئة، بل "كاترين" المرأة التي فهمتها المرأة الأخرى الصالحة، " كريمة" زوجة المنقذ والتي صارت بالإغضاء عن خطيئتي منقذة على طريقتها.)"١"

يبدو الغفران هنا في علاقة تعدية؛ ف"صالح" الذي يغفر ل"كاترين" خطيئتها يتعدّى غفرانه إلى زوجته التي لا تقبل وجود "كاترين" على مضض، بل بكامل الرضا والترحيب.

ثالثا: الحب محكوم بتاريخ صلاحية:

بمعنى أن هناك آفاتٍ للحب، تجعله يمرض ويشيخ، ويزول شأنه شأن الإنسان، ففي الرواية نجد أن "صالحا" كان يحب زوجته سابقا، لكن تقدمها في السن أنهى ذلك الحب (فالوقت يجعل الحب يتآكل بالضرورة)"٢".

لنستمع إلى "صالح" متكلما إلى نفسه بعد أن استيقظ من غيبوبته، وقد وجد زوجته إلى جواره (أخذت كفّ "كريمة" بين يديّ الواهنتين، كانت كفّها دافئة، وبنظرة عذبة حنون حدبة مشفقة، يلوح فيها ابتسام حيي ينطوي على فرح يغالب الدمع المتحيّر كمن لا يعرف أن يعبر بالقول عما به، فلمّا قبّلت هذه الكفّ راودني شعور غريب، شعور مَنْ يقبّل كفّ أمه، لا زوجته، وفكرت هل هذا لأنها طيبة؟ هل هذا لأنها تقدمت في العمر قليلا؟ ....فقد تبدّل شيء ما في داخلي من هذه الناحية، حيّرني، أدهشني، عذّبني، لم أستطع أن أفهم حتى مع الرغبة في ذلك السبب الحقيقي لهذا التبدل، ولم يخطر على بالٍ أن حبي القديم قد انتهى، قد مات.)"٣"

نلاحظ في المقتطف السابق أن وصف الزوجة هنا يقارب وصف الأم حيال ولدها، فهي المتلهفة، الحنونة، المشفقة، الساهرة على راحة مريضها، المتقدمة في السن، وهي صورة للأم أكثر منها صورة للزوجة؛ لذلك تحتل الزوجة مرتبة الأم في رؤية "مينة" وهو ما كان يذكره-صراحة- في موضع آخر؛ إذ يقول: (الوفاء الذي عرفته فيها، والمحبة الغامرة التي لمستها في تصرفها حيالي، والتفاني في خدمتي بأكثرَ من تفانيها في خدمة بيتها وأولادها، كل هذا كان يرتّب إحساساً آخر، أويجب أن يكون كذلك؛ لأن صورة الأم حلّت محل صورة الزوجة.)"٤"

يحيلنا هذا الكلام على ما يسمى في العلاقات الزوجية لعنة السأم، والتي لا يتم التحرر منها إلا نادراً؛ إذ تحدث نتيجة القرب وانتهاء التعرّف، وانكشاف السر، وتبدّد الإغراء، وجفاف الاهتمام، والتعوّد، وفقدان البريق."٥"، وهو ما يتوافق مع عالم البحّار التوّاق أبدا إلى استمرار الإثارة والغموض، والاحتجاب، وجاذبية ما يتعذر بلوغه، فالبحر والمرأة لديه صنوان، وهو لا يستطيع العيش من غيرهما، بشرط أن يعيش مع المرأة فكرة الحب البهيجة، ذاك الحب الباعث على الإقدام والإلهام والإنجاز والتغيير والنمو، ففي مواضع أخرى من الرواية، وفي لحظات المواجهة بين الكاتب ورموز الشر يبدو صامتاً، عاجزاً عن المجادلة إلى أن تحضر "كاترين" التي تمنحه القوة والإلهام والقدرة على الرد على خصومه، هنا فقط يعود الكاتب الذي تخفّى وراء اسم "دعبس الفتفوت" ليكون بطل رواية (حكاية بحار)، "صالح الحزّوم" على ما في

---

١. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه، ص١٨١.

٢. لومونييه، ماري ولانسولان، أود: الفلاسفة والحب، ص٢٦.

٣. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه، ص١٧٧.

٤. المرجع السابق نفسه، ص١٧٤.

٥. البليهي، إبراهيم: الإنسان كائن تلقائي، دارابن النديم للدراسات والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى٢٠٢٠، ص٣٠٨.

الاسمين من بون شاسع في الدلالة؛ فالدعبُس هو الضعيف العقل، الأحمق"١". والفتفوت من الفعل فتت؛ بمعنى الكسارة والسقاطة والقطعة من الشيء المفتوت "٢".وهو ما يتناسب مع مشاعر الكاتب، وإحساسه بالضآلة والتهميش، مشيراً إلى واقع متهالك يطاله مع أبناء جيله، لكن حضور "كاترين" يُلبسِه لبوس الشباب والقوة والاندفاع عبر شخصية "صالح" القائد الشعبي التي يحنّ إليها؛ تعبيرا عن الحنين إلى زمانها، حين كان صالحاً في فعله، وإيثاره وغيريته، وقدرته على النجاة بنفسه وبالآخرين؛ بدليل قيادته السفنَ، وإنقاذ مركبه ومراكب الصيادين في أثناء الإعصار، وصفة الحزّوم تشير إلى صفات القوة والصلابة والحزم التي كان يحوزها في ما مضى.

لكن الحب عند "مينة" يزول بزوال الجمال، وينطفئ تحت وطأة صقيع العمر، مع أنه يُظهِر في مواضع أخرى أن الجمال نفسه ليس مزية دائماً، وقد يكون داعياً لشقاء الإنسان، فجمال "كاترين" إلى جانب فقرها كان مدعاة شقائها وبؤسها؛ لتكون زوجة العجوز، ومحط أطماع رجال الحي، والجنود الأتراك.

رابعاً: الحب يغفر الخطايا:

يقرّ الشاعر عبر أحداث الرواية ومواقف الشخصيات فيها بأن الحب يغفر الخطايا، بدليل غفرانه خطايا "كاترين"، واجداً التبرير الأخلاقي والاجتماعي لها، بأنها مضطرة إلى هذا الفعل؛ نتيجة هرم زوجها، وفقرها الشديد ، بل إنه يُعلي من قدرها، ويراها بعيون قلبه، مخالفاً رؤية أهل الحي لها؛ لذلك عندما يفيق من غيبوبته ويراها أمامه، يقول لها: (أنت؟!) بعد أن كان قد أصدر حكمه عليها بترك الحي، تلك الكلمة التي أعادت لها الشعور بكيانها؛ إذ تقول:(عندما قال لي صالح الحزّوم: أنت ؟ اختلج شيء ما لا يُوصَف فيّ، عدت إلى شردقي وبكيت من سعادة، آمنت بعد تأمل أن كلمةً قادرةً على إسعاد مخلوق شقي مثلي، فالكلمة أحياناً تحيي وتُميت، وقد كنت ميتة فأحيتني كلمة.)"٣".

مخاطبة "صالح" "كاترينَ " بهذه الكلمة، وبالنبرة الرقيقة تشي بمحو خطيئتها للمرة الثانية، فهذه الكلمة مصالحة لها بعد طردها من الحي، وعقابها على علاقتها بالجنود الأتراك، وما رفضه في مرحلة الخمسينات من عمره، وعدّه خيانة برّره وقبله وسامحها عليه بعد أن بلغ السبعين، وفي هذا تأكيد لمقدرة الحب على الغفران، أيّاً يكن الذنب، لكن الأمر مرهون

بتغير الزمن، وهنا موضع الرمز في "كاترين"، فهي معادل موضوعي للواء اسكندرون ، وما ولهه بها إلا من قبيل حب الأم لابنها الغائب والمريض، ف "كريمة" هي المكان الأليف، التحصيل الحاصل، الحساب المضمون، هي الوطن المملوك لأبنائه، أما "كاترين" فهي اللواء الذي اعتدى عليه الأتراك، وغُصِب وسُلِب، ونفيها من غير مسامحة–بدايةً– موقف عاطفي، أما مسامحتها بعد سنوات طوال فهو حكمة لها تسويغها؛ هي كانت تحتاج إلى مَن يدافع عنها ويحميها؛ إذ إن جمالها جرّ الطامعين إلى الحي، لكن الرجال الغائبين في السجن بعد صدّهم هجوم الأتراك على الحي لم يكن بمقدورهم الدفاع لا عن الحي ولا عن " كاترين".

تتجلى فلسفة الغفران بدافع الحب أيضا في موقف "كريمة" التي لا تقف أبدا ضد علاقة زوجها ب"كاترين"؛ بسبب حبها الشديد له، فمع الحب لا خطيئة، والأمر نفسه ينطبق على علاقة "صالح" ب "كاترين" ، فهي امرأة متزوجة، لكن "صالحاً" يرى أن ما يفعله مبرر بدافع الحب، بل إن "مينة" يبالغ هنا حين يجعل "حبابة" زوج "كاترين" راضياً عن "صالح"، محترما له، فرحا بعلاقته بزوجته، وهو موقف خارج على العرف والمنطق، لكن اعتراف "صالح" بعلاقته ب"كاترين" يُبطل شعورَه بأنها جريمة، وقد يكون ذلك نوعاً من التقديس المسيحي للاعتراف، ودليلاً على التزام "مينة" بمسيحيته.

---

١. معلوف، لوئيس: المنجد في اللغة، مطبعة أميران، الطبعة السابعة والثلاثون مادة (حمق).

٢. المرجع السابق نفسه، مادة (فتت).

٣. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه ، ص٢٢٣

خامسا: التسامي في الحب:

بتعيّن الحب؛ بوصفه قوةً سامية، وطاقةً تساعد الإنسان على بلوغ الخلود الأوحد الممكن"١"؛ أي إن الحب عندما يكون طاقة، بصرف النظر عن طرفي العلاقة يوجّه الإنسان نحو الخلود، فيتجلّى طفلاً أو حرباً أو عملا أدبياً، كما يبدو في الرواية؛ إذ إن حب "صالحٍ" "كريمةَ" خلّده بإنجاب امتداده "سعيدٍ" البحّار الشجاع الذي تحدى المخاطر لانتشال جثة أبيه من قعر السفينة الجانحة، وحبَ "صالح" "كاترينَ" خلّده عندما تسامى به وبطاقته؛ ليغدو مقاومة للعدو وتأكيداً لوجوده، وإضفاءً للنبل عبر تحرير نفسه من تأنيب الضمير، ففي غياب الحب يحلّ فراغ حتمي ينبغي ملؤه، وقد ملأه "صالح" بحب البحّارة الذين يعملون تحت إمرته، ومساعدته غيرَه من أصحاب المراكب، وردّ الأتراك عن الحي، ومواجهة الفرنسيين، وحب أبناء حيّه، عبر تمثّل شخصية "روبن هود' في السعي إلى المخاطرة بالنفس في سبيل إنقاذهم من الجوع، ورفضه إرسال ابنه "سعيد" إلى كتّاب يعلّم اللغة التركية في مرسين؛ إذ وجد عارا أن يتعلم لغة قوم هم أعداؤه.

كل هذه المظاهر من تفريغ طاقة الحب تعني التسامي به؛ ليغدو الوطنُ حبَّه الوحيد، ذاك الحب الذي يعيشه، ولا يتكلم عليه؛ أي إن ما فقده في علاقته ب " كاترين" ظهر بمعنى آخر وقيمةٌ أخرى أكثرَ نبلا.

" مينة" في تساميه بالحب يحرص على الإبقاء على الحب أكثر من حرصه على الإبقاء على المحبوب؛ لأنه يدرك أنه ببقاء الحب سوف يصل إلى ما هو أبعد وأرقى من هذه المشاعر، وهو الاستماتة في الدفاع عن بلده؛ إذ إن قمع هواه ونفيه "كاترينَ" حوّل قدراته إلى طاقة سمّيّة تدميرية، وغدا إنساناً ليس مستعداً للذهاب إلى الحرب، بل متشوّقا إليها، فهو راغب في القتل والتحطيم، من أجل حلم استحوذ عليه، وهو حلم الحرية، فاختار العيش في الجبل حاملاً السلاح، متخفّيا نهاراً، محاربا ليلاً ضد الفرنسيين.

ثم نراه في أسمى مواقف النبل وهو يفصّل في وصف تعذيب الفرنسيين له من غير جدوى، لإجباره على الاعتراف بأسماء رفاقه من الثوار، وما جعله يتحمّل آلام التعذيب هو وجود فكرة الحب البهيجة في حياته، فكرة حبه "كاترينَ"؛ إذ إن (طاقة الفكرة لا يمكن استنفادها، فهي قابلة للتفريغ والتجدد إلى ما لانهاية)"٢".

يتسامى "مينة" أيضاً في الحب؛ ليصل به إلى مرتبة الإنتاج الإبداعي، فعندما يبلغ السبعين في الرواية، ولا يعود قادراً على الإنجاب أو المقاومة، يتحول إلى كاتب مبدع، ينجب أعمالاً أدبية، بكون الحب ملهمه فيها، لكن "مينة" مازال إنساناً يكره نفسه؛ لأنه وصل درجة العجز عن التصدي لواقع لا يمكن إصلاحه، فالناس مُقنّعون، فاسدون في زمن رديء، وقد تعب من السير ضد التيار فكان خياره القعودَ عن كل عمل بعد أن أرهقته الحياة، وأعياه الإصلاح فيها، فنجده يقول: (فبعد رجوعي من المنفى زرت الوطن العربي بلدا بلدا، وفي كل بلد رأيت وسمعت، ما رأيته وما سمعته هنا؛ لأن هذا العالم الصغير تجسيد للعالم الكبير، ولما كان الفساد قد عمّ، والنفعية قد استشرت، أسفت لأنني عدت من المنفى، كنت مواطناً صالحاً، وسأبقى، إلا أنني وبشكل غريب لا يكاد يُصدَّق رأيت الناس مقنّعين، لكل من هؤلاء قناع يختلف عن الآخر، فاتّخذت مثلهم قناعا لنفسي)"٣".

التسامي في الحب لا يطال "صالحاً" وحسب، بل "كاترين" أيضاً؛ لتتحول من شخصية ذات حضور واقعي في الرواية إلى ما يشبه الرمز، فهي عروس البحر التي يحلم بها كل بحّار، فيخوض غمار البحار و المحيطات، حالما برؤيتها، عروس البحر هي المرأة الكاملة في عرف البحّار، فكل امرأة حقيقية لا تفارق الصورة النمطية ل "كريمة"، فهي مهتمة بالحياة والأمان

---

١. لومونييه، ماري و لانسولان، أود، الفلاسفة والحب، ص٢٣.

٢. البليهي، إبراهيم: الإنسان كائن تلقائي، ص ٣١٩.

٣. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه، ص٤٤٨.

والراحة والإنجاب، أما المرأة المفارقة لهذه الصورة فهي عروس البحر، رمز الجدّة والغواية، والمغامرة ، عروس البحر تنفذ البحّار من الوقوع فريسة سجن مؤسسة الزواج وتعطيه الحرية، وهي القيمة التي تتفوق على الحب.

نتائج البحث:

مما سبق نجد أن فلسفة "حنا مينة" في رواية الرجل الذي يكره نفسه) فلسفة رجل خبر الحياة، فجاءت مختلفة عن فلسفته في روايات سابقة ، وتقدم مبادئ تفسّر السلوك الإنساني، تجيب عن أسئلة عدة:

- يتحقق الحب في حياة الإنسان عندما يكون محبّا، لا عندما يكون محبوبا.
- امرأة واحدة لا تكفي بحّارا، ففي حياة كل بحّار أكثر من امرأة؛ لأنه يحتاج إلى حافز على الإقدام والمغامرة والاستمرار، وهو ما تحققه له المرأة المُغلَّفة بالسر والغموض والسحر، ويحتاج إلى البيت الدافئ المريح المستقر، لكنه في حبه يعلم أنه لا يستطيع مقاومة الغواية؛ لذا فهو يتجنّبها، ولا يمكن أن يتورّط إلا في الحب الصادق.

الإخلاص في الحب ليس موجها إلى المحبوب بقدر ما هو موجه إلى الحب نفسه، فحبّ البطل البحّارة دفعه إلى حمايتهم مع أن أحدهم كان سبب الوشاية به، وإيقاعه في يد الجنود الفرنسيين، ومع ذلك رفض الإقرار باسم أي من

شركائه، وحبه وطنَه دفعه إلى خوض معارك طوال شبابه، وحبه "كاترينَ" دفعه إلى رفض قتلها والاكتفاء بنفيها إخلاصا لفكرة الحب.

- لا تستوي فلسفة الإنسان لتكون نهجاً يرسم خطاه طوال حياته حيال أية قضية بدليل تغيّر الفلسفة بين الروايتين المتصلتين عبر الأحداث، المختلفتين عبر الزمن فرواية (الرجل الذي يكره نفسه) الصادرة عام ٢٠٠٣ هي امتداد لرواية (حكاية بحار) الصادرة عام ١٩٨١ لكن فلسفة الحب تتباين نوعاً ما؛ لتغدو محكومة بتغير الظروف والمرحلة العمرية التي يعيشها الكاتب.

مراجع البحث:

١. البليهي، إبراهيم: الإنسان كائن تلقائي، دارابن النديم للدراسات والنشر، الجزائر، الطبعة الأولى٢٠٢٠.

٢ضيف، شوقي: البحث الأدبي (طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره)، ط٢، دار المعارف، القاهرة.

٣. لومونييه، ماري و لانسولان، أود: الفلاسفة والحب ، ترجمة دينا مندور، دار التنوير، الطبعة الأولى ،٢٠١٥.

٤. معلوف، لوئيس: المنجد في اللغة، مطبعة أميران، الطبعة السابعة والثلاثون مادة (حمق).

٥. مينة، حنا: الرجل الذي يكره نفسه دار الآداب ،بيروت،ط ٢٠٠٣.

المراجع العربية المترجمة

- Al-Bulaihi, Ibrahim: *Al-Insan Ka'in Tilqa'i* (Man is a Spontaneous Being), Dar Ibn Nadim for Studies and Publishing, Algiers, First Edition, 2020.
- Daif, Shawqi: *Al-Bahth al-Adabi (Tabi'atuhu, Manahijuhu, Usuluhu, Masadiruhu)* (Literary Research: Its Nature, Methods, Origins, and Sources), 2nd ed., Dar al-Ma'arif, Cairo.
- Loménie, Marie, and Lancelin, Aude: *Les Philosophes et l'Amour* (Philosophers and Love), translated by Dina Mandour, Dar al-Tanwir, First Edition, 2015.
- Ma'louf, Louis: *Al-Munjid fi al-Lugha* (The Rescuer in Language), Amiran Printing Press, 37th Edition, Entry (Hamuqa - Imbecility/Foolishness).
- Mina, Hanna: *Al-Rajul Alladhi Yakrahu Nafsah* (The Man Who Hates Himself), Dar al-Adab, Beirut, 2003.